

تفسير البحر المحيط

@ 390 @ فيحتمل أن يكون ذلك متكرراً ، ويحتمل أن يكون ذلك مرة واحدة ، والواحدة هي المتحققة . .

{ فَاَنْفَجَرَتْ } : الفاء للعطف على جملة محذوفة ، التقدير : ف ضرب فأنفجرت ، كقوله تعالى : { أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْيَدِجِرَ فَاَنْفَلَقَ } أي ف ضرب فأنفلق . ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتباً على ضربه ، إذ لو كان يتفجر دون ضرب ، لما كان للأمر فائدة ، ولكان تركه عصياناً ، وهو لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وما ذهب إليه بعض الناس من أن الفاء في مثل : فأنفلق ، هي الفاء التي في ضرب ، وأن المحذوف هو المعطوف عليه ، وحرف العطف من المعطوف حتى يكون المحذوف قد بقي عليه دليل ، إذ قد أبقيت فاؤه وحذفت فاء فأنفلق ، واتصلت بأنفلق فاء ضرب تكلف وتخرب على العرب بغير دليل . وقد ثبت في لسان العرب حذف المعطوف عليه ، وفيه الفاء حيث لا معطوف بالفاء موجود ، قال تعالى : { فَأَرْسَلْنَا رُسُلًا * يُوَسِّفُ لَهُمْ أَسْمَاءَ الصُّدُورِ } ، التقدير : فأرسلوه فقال : فحذف المعطوف عليه والمعطوف ، وإذا جاز حذفهما معاً ، فلأن يجوز حذف كل منهما وحده أولى . وزعم الزمخشري أن الفاء ليست للعطف ، بل هي جواب شرط محذوف ، قال : فإن ضربت فقد انفجرت ، كما ذكرنا في قوله : { فَتَّابَ عَالِيَهُمْ } ، وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ ، اه كلامه . .

وقد تقدّم لنا الردّ على الزمخشري في هذا التقدير في قوله : { فَتَّابَ عَالِيَهُمْ } ، بأن إضمار مثل هذا الشرط لا يجوز ، وبيننا ذلك هناك ، وفي قوله أيضاً إضمار قد إذ يقدر ، فقد تاب عليكم ، وقد انفجرت ، ولا يكاد يحفظ من لسانهم ذلك ، إنما تكون بغير فاء ، أو إن دخلت الفاء فلا بد من إظهار قد ، وما دخلت عليه قد يلزم أن يكون ماضياً لفظاً ومعنى ، نحو قوله : { وَإِنْ يَكْذِبُوا فَكَذِّبُوا لَهُمْ مَا ظَهَرُوا لَهُمْ لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ } ، وإذا كان ماضياً لفظاً ومعنى ، استحال أن يكون بنفسه جواب الشرط ، فاحتج إلى تأويل وإضمار جواب شرط . ومعلوم أن الانفجار على ما قدّر يكون مترتباً على أن يضرب ، وإذا كان مترتباً على مستقبل ، وجب أن يكون مستقبلاً ، وإذا كان مستقبلاً امتنع أن تدخل عليه قد التي من شأنها أن لا تدخل في شبه جواب الشرط على الماضي إلا ويكون معناه ماضياً نحو الآية ، ونحو قولهم : إن تحسن إليّ فقد أحسنت إليك ، ويحتاج إلى تأويل ، كما ذكرنا . وليس هذا الفعل بدعاء فتدخله الفاء فقط ويكون معناه الاستقبال ، وإن كان بلفظ الماضي نحو : إن زرتني فغفر لك . وأيضاً فالذي يفهم من الآية أن الانفجار قد وقع وتحقق ، ولذلك قال : { قَدْ }

عَلِمَ كُلُّهُ أُنْزَسَ مَشْرَبَهُمْ كَلُواً وَاشْرَبُواً } ، وجعله جواب شرط محذوف
على ما ذهب إليه هذا الرجل يجعله غير واقع ، إذ يصير مستقبلاً لأنه معلق على تقدير وجود
مستقبل ، والمعلق على تقدير وجود مستقبل لا يقتضي إمكانه فضلاً عن وجوده ، فما ذهب إليه
فاسد في التركيب العربي ، وفاسد من حيث المعنى ، فوجب طرحه ، وأين هذا من قوله : وهي
على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ ؟ وجاء هنا : انفجرت وفي الاعراف : { * انبجست
{ ، ف قيل : هما سواء ، انفجر وانبجس وانشق مترادفات . وقيل : بينهما فرق ، وهو أن
الانبجاس هو أوّل خروج الماء ، والانفجار اتساعه وكثرته . وقيل : الانبجاس خروجه من الصلب
، والانفجار خروجه من اللين . وقيل : الانبجاس هو الرشح ، والانفجار هو السيلان ، وظاهر
القرآن استعمالهما بمعنى واحد ، لأن الآيتين قصة واحدة . .
{ الْكِتَابَ مِنْهُ } متعلق بقوله : فانفجرت ، ومن هنا لابتداء . الغاية والضمير
عائد على الحجر المضروب ، فانفجار الماء كان من الحجر لا من المكان ، كما قال تعالى : {
وَإِنَّ مِنْ الْجِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْإِنهَارُ } ، ولو كان هذا
التركيب في غير كلام □ تعالى لأمكن أن يعود الضمير على الضرب ، وهو